قولوا ربنا أمر من الله تعالى للمؤمنين بأن يقولوه وتعليم منه لهم تتميما لما وصاهم
به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والائتساء بإبراهيم وقومه في البراءة منهم وتنبيها
على الإنابة إلى الله والاستعاذة به من فتنة أهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم
وقرئ برآء كشركاء وبراء كظراف وبراء على إبدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبرا
على الوصف بالمصدر والبرا والبراءة كالظما والظماءة ثم كرر الحث على الائتساء
بإبراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لأنه الغاية
في التأكيد وأبدل عن قوله لكم قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وعقبه بقوله ومن يتول
فإن الله هو الغني الحميد فلم يترك نوعا من التوكيد إلا جاء به ولما نزلت هذه الآيات
تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين ومقاطعتهم
فلما رأى الله منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح
لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة
أظفرهم الله بأمنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم وقيل
تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة فلانت عند ذلك عريكة أبي سفين
واسترخت شكيمته في العداوة وكانت أم حبيبة قد أسلمت وهاجرت مع زوجها
عبيد الله بن جحش إلى الحبشة فتنصر وأرادها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها
ومات زوجها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي فخطبها عليه وساق
عنه إليها أربع مائة دينار وبلغ ذلك أباها فقال ذاك الفحل لا يقدع أنفه وعسى
وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى أو لعل فلا تبقى
شبهة للمحتاج في تمام ذلك أو قصد به إطماع المؤمنين والله قدير على تقليب
القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة والله غفور رحيم لمن أسلم
من المشركين أن تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك أن تولوهم من الذين

قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هولاء وإنما ينهاكم عن تولي هولاء وهذا أيضا رحمة
لهم لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير إسلام قومهم حيث
رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين وإخراجهم من ديارهم وقيل
أراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا
يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل قدمت على أسماء بنت أبي بكر
أمها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها فنزلت فأمرها
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن إليها وعن قتادة
نسختها آية القتال وتقسطوا إليهم وتقضوا إليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك
بتوصية الله المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة
عن حال مسلم يجترئ على ظلم أخيه المسلم إذا جاءكم المؤمنات سماهن مؤمنات
لتصديقهن بألسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك أو لأنهن
مشارفات لثبات إيمانهن بالامتحان فامتحنوهن فابتلوهن بالحلف والنظر في
الأمارات ليغلب على ظنونكم صدق إيمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول للممتحنة بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت
رغبة إلا حبا لله ولرسوله الله أعلم بإيمانهن منكم لأنكم لا تكسبون علما تطمئن به
نفوسكم وإن استحلفتموهن ورزتم أحوالهن وعند الله حقيقة العلم به فإن علمتموهن
مؤمنات العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات
فلا ترجعوهن إلى الكفار فلا تردوهن إلى أزواجهن المشركين لأنه لا حل بين المؤمنة
والمشرك وآتوهم ما أنفقوا وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من المهور
وذلك أن صلح الحديبية كان على أن من أتاكم من أهل مكة رد إليهم ومن أتى مكة منكم
لم يرد إليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية

Copyright © King Saud University